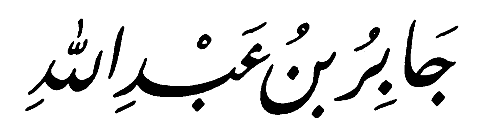
بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلام

٦٣



رَضِيَ اللهُ عَنْهُما

جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِوِ بنِ حَرَامِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حَرَامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنَمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلَمَةَ. مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الخَزْرَجِ. وَبَنُو النَّجَّارِ أَخْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِذْ أَنَّ جَدَّهُ هَاشِمَ بنَ عَبْدِ مَنَافٍ قَدْ تزَوَّجَ مِنْهُمْ سَلْمَى بِنْتَ عَمْرِو بنِ زَيْدٍ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ عَلَى المَدِينَةِ، وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ عَبْدَ المُطَّلِبِ، وَكَانَ فِي رَأْسِهِ شَيْبَةٌ، فَسُمِّيَ شَيْبَةَ، وَخَرَجَ هَاشِمُ فِي أَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى بَلَغَ غَزَّةَ فَاشْتَكَى، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ، فَدَفَنُوهُ بِغَزَّةَ، وَرَجَعُوا بِتَرِكَتِهِ إِلَى وَلَدِهِ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يُكْرِمُ بَنِي النَّجَّارِ، وَيَعُدُّهُمْ أَهْلَهُ، فَعِنْدَمَا تُوُفِّيَ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَاءَهُ أَعْيَانُ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاتَ نَقِيبُنَا، فَنَقِّبْ عَلَيْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: أَنَا نَقِيبُكُمْ.

أَسْلَمَ وَالِدُ جَابِرٍ (عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرٍو) قَبْلَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ، وَشَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَعَ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَشَهِدَ مَعْرَكَتَيْ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، وَاسْتُشْهِدَ فِي الثَّانِيَةِ مِنْهُمَا فِي شَهْرِ شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ شَهْراً مِنَ الهِجْرَةِ.

يَقُولُ جَابِرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، أَتَيْتُهُ وَهُوَ مُسَجًّى، فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ، وَأُقَبِّلُهُ، وَالنَّبِيُّ

يَرَانِي، فَلَمْ يَنْهَنِي.

وَيَقُولُ جَابِرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، وَأَبْكِي، وَجَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، يَنْهَوْنَنِي، وَالنَّبِيُّ، ﷺ، لاَ يَنْهَانِي. قَالَ: وَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو تَبْكِي عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ، ﷺ، بَكِّيهِ أَوْ لاَ تُبكِّيهِ، مَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ.

وَعَنْهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: أُصِيبَ أَبِي وَخَالِي يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَاءَتْ بِهِمَا أُمِّي، قَدْ عَرَضَتْهُمَا عَلَى نَاقَةٍ، أَوْ قَالَ: عَلَى جَمَلٍ، فَأَقْبَلَتْ بِهِمَا إِلَى المَدِينَةِ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ: ادْفُنُوا القَتلَى فِي مَصَارِعِهِمْ، قَالَ: فَرُدَّا حَتَّى دُفِنَا فِي مَصَارِعِهِمَا.

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، لَمَّا خَرَجَ لِدَفْنِ شُهَدَاءِ أُحُدٍ قَالَ: زَمِّلُوهُمْ بِجِرَاحِهِمْ فَإِنِّي أَنَا الشَّهِيدُ عَلَيْهِمْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسِيلُ دَماً، اللَّوْنُ لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ. قَالَ جَابِرٌ: وَكُفِّنَ أَبِي فِي نَمِرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ يَقُولُ، ﷺ: أَيُّ هَؤُلاَءِ كَانَ أَكْثَرَ أَخْذاً لِلْقُرآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى الرَّجُلِ، قَالَ: قَدِّمُوهُ

فِي اللَّحْدِ قَبْلَ صَاحِبِهِ. قَالُوا: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ أَوَّلَ قَتِيلٍ قُتِلَ مِنَ المُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَتَلَهُ سُفْيَانُ بنُ عَبْدِ شَمْسٍ أَبُو أَبِي الأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَبْلَ الهَزِيمَةِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: ادْفُنُوا عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرٍو وَعَمْروَ بنَ الجَمُوحِ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، لِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الصَّفَاءِ، وَقَالَ: ادْفُنُوا هَذَيْنِ المُتَحَابَّيْنِ فِي الدُّنْيَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرٍو رَجُلاً، أَحْمَرَ، أَصْلَعَ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَكَانَ عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ رَجُلاً طَوِيلاً، فَعُرِفَا فَدُفِنَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ. وَكَانَ قَبْرُهُمَا مِمَّا يَلِي المَسِيلَ، فَدَخَلَهُ السَّيْلُ، فَحَفر عَنْهُمَا، وَعَلَيْهِمَا نَمِرَتَانِ، وَعَبْدُ اللَّهِ قَدْ أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي وَجْهِهِ، فَيَدُهُ عَلَى جُرْحِهِ، فَأُمِيطَتْ يَدُهُ عَنْ جُرْحِهِ فَانْبَعَثَ الدَّمُ، فَرُدَّتْ يَدُهُ إِلَى مَكَانِهَا فَسَكَنَ الدَّمُ. قَالَ جَابِرٌ: فَرَأَيْتُ أَبِي فِي حُفْرَتِهِ كَأَنَّهُ نَائِمٌ، وَمَا تَغَيَّرَ مِنْ حَالِهِ قَلِيلٌ وَلاَ كَثِيرٌ، فَقِيلَ لَهُ: فَرَأَيْتَ أَكْفَانَهُ؟ قَالَ: إِنَّمَا كُفِّنَ فِي نَمِرَةٍ خُمِرَ بِهَا وَجْهُهُ وَجُعِلَ عَلَى رِجْلَيْهِ الحَرْمَلُ، فَوَجَدْنَا النَمِرَةَ كَمَا هِيَ، وَالحَرْمَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ عَلَى هَيْئَتِهِ، وَبَيْنَ ذَلِكَ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً. فَشَاوَرَهُمْ جَابِرٌ فِي أَنْ يُطَيَّبَ بِمِسْكٍ فَأَبَى ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَقَالُوا:

لا تُحْدِثُوا فِيهِمْ شَيْئاً. وَحُوِّلاَ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، وَذَلِكَ أَنَّ القَنَاةَ كَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهِمَا، وَأُخْرِجُوا رِطَاباً يَتَثَنَّوْنَ.

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَرَخَ بِنَا إِلَى قَتْلاَنَا يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ أَجْرَى مُعَاوِيَةُ العَيْنَ، فَأَخْرَجْنَاهُمْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَيِّنَةً أَجْسَادُهُمْ، تَتَثَنَّى أَطْرَافُهُمْ.

وَعَنْهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَاهُ تُوفِّيَ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً، وَلَيْسَ عِنْدَنَا إِلاَّ مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ، فَلاَ يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ سَنَتَيْنِ مَا عَلَيْهِ، فَانْطَلِقْ مَعِي لِكَيْلاَ يُفْحِشَ عَلَيَّ الغُرَمَاءُ، قَالَ: فَمَشَى حَوْلَ بَيْدَرٍ مِنْ بَيَادِرِ التَمْرِ، وَدَعَا، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَيْنَ غُرَمَاؤُهُ؟ فَأَوْفَاهُمْ الَّذِي لَهُمْ، وَبَقِيَ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَاهُمْ[1].

وَأُمُّ جَابِرٍ هِيَ أَنِيسَةُ بِنْتُ غَنَمَةَ بنِ عَدِيٍّ، أَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم.

وُلِدَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ الهِجْرَةِ بِستَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَسْلَمَ قَبْلَ البَيْعَةِ الثَّانِيَةِ بِسَنَةٍ تَقْرِيباً، أَيْ كَانَ إِسْلاَمُهُ وَهُوَ فِي الرَّابِعَةِ عَشَرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، وَشَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَعَ أَبِيهِ،

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٥٦٤.

وَخَالِهِ، وَكَانَ أَصْغَرُ مَنْ حَضَرَهَا سِنًّا إِذْ كَانَ فِي الخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ.

كَانَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الوَحِيدُ لِأَبَوَيْهِ مِنَ الذُّكُورِ إِلَى جَانِبِ سَبْعِ أَوْ تِسْعِ بَنَاتٍ، فَكَانَ أَبُوهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُخْلِفُهُ عَلَيْهِنَّ، وَيَخْرُجُ لِلْجِهَادِ، وَهَذَا مَا مَنَعَهُ مِنْ حُضُورِ مَعْرَكَتَي بَدْرٍ وَأُحُدٍ. فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ أَبُوهُ فِي أُحُدٍ أَصْبَحَ يَنْفِرُ إِلَى الجِهَادِ مُبَاشَرَةً.

مَا أَنِ انْتَهَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ، وَسَارَتْ قُرَيْشٌ نَحْوَ مَكَّةَ، حَتَّى خَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ تَمِيلَ قُرَيْشٌ عَلَى المَدِينَةِ، وَتَحْسَبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، وَمَنْ مَعَهُ قَدْ خُضِدَتْ شَوْكَتُهُمْ، لِذَا بَعَثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ فِي أَثَرِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ فِي آثَارِ القَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَمَا يُرِيدُونَ؛ فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الخَيْلَ، وَامْتَطُوا الإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الخَيْلَ وَسَاقُوا الإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ المَدِينَةَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ. قَالَ عَلِيٌّ: فَخَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ؛ فَجَنَّبُوا الخَيْلَ، وَامْتَطُوا الإِبِلَ[1].

---

(١) سيرة ابن هشام.

وَمَا أَنِ انْتَهَى المُسْلِمُونَ مِنْ دَفْنِ شُهَدَائِهِمْ، وَسَارُوا إِلَى المَدِينَةِ، وَغَسَلُوا السُّيُوفَ، حَتَّى أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي النَّاسِ بِطَلَبِ العَدُوِّ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمُ الأَحَدِ لِسَتَّ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَوَّالٍ. وَأَذَّنَ مُؤَذِّنُهُ أَنْ لاَ يَخْرُجَنْ مَعَنَا أَحَدٌ إِلاَّ أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالأَمْسِ. فَكَلَّمَهُ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي كَانَ خَلَّفَنِي عَلَى أَخَوَاتٍ لِي سَبْعٍ، وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لاَ لِي وَلاَ لَكَ أَنْ نَتْرُكَ هَؤُلاَءِ النِّسْوَةِ، لاَ رَجُلَ فِيهِنَّ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أُؤْثِرُكَ بِالجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى نَفْسِي، فَتَخَلَّفْ عَلَى أَخَوَاتِكَ، فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَّ. فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فَخَرَجَ مَعَهُ. وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مُرْهِباً لِلْعَدُوِّ، وَلِيَبْلُغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ، لِيَظُنُّوا بِهِ قُوَّةً، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ.

حَمْرَاءُ الأَسَدِ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَهِيَ مِنَ المَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى المَدِينَةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ. فَأَقَامَ بِهَا الاثْنَيْنِ، والثُّلاَثَاءِ، وَالأَرْبِعَاءِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ.

خَرَجَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ بَعْدَ إِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لَهُ، دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَضْعِهِ فِي البَيْتِ إِذْ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، لَمْ يُفَكِّرْ فِي اسْتِشْهَادِ وَالِدِهِ، وَعَدَدٍ مِنْ أَقْرِبَائِهِ، وَأَثَرِ ذَلِكَ عَلَى البَنَاتِ السَّبْعِ فِي البَيْتِ، وَوَضْعِهِنَّ أَنْفُسِهِنَّ، إِذْ كَانَتْ تَسْمُو نَفْسُهُ إِلَى الجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِذْ كَانَتْ لاَ تَزَالُ تَرِنُّ فِي مَسَامِعِهِ كَلِمَاتُ أَبِيهِ إِلَيْهِ (وَلَسْتُ بِالَّذِي أُؤْثِرُكَ بِالجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى نَفْسِي). فَكَلِمَاتُ الوَالِدِ لَهَا الأَثَرُ الكَبِيرُ فِي نَفْس الفَتَى، وَنِعْمَتْ تَرْبِيَةُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لأَبْنَائِهِمْ فَنَشَأُوا النَشْأَةَ الصَّالِحَةَ، وَتَرَبَّوْا التَّرْبِيَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ. كَمَا كَانَتْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نَفْسُهُ تَتُوقُ لِلشَّهَادَةِ، فَإِنَّهَا مِلءُ قَلْبِهِ، وَمِلءُ جَوَارِحِهِ لاَ يُبَالِي بِمَنْ يُخَلِّفُ وَرَاءَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّهُمْ. وَهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَهَذَا مَا كَانَتْ عَلَيْهِ التَّرْبِيَةُ، وَرُبَّمَا مِنَ المُفِيدِ ذِكْرُ أَحْدَاثٍ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ لِتَكُونَ دَرْسَاً وَعِبْرَةً. فَإِنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، كَانَ شَهِدَ أُحُدَاً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، قَالَ: شَهِدْتُ أُحُدَاً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَنَا وَأَخٌ لِي، فَرَجَعْنَا جَرِيحَيْنِ، فَلَمَّا أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِالخُرُوجِ فِي طَلَبِ العَدُوِّ، قُلْتُ لأَخِي

أَوْ قَالَ لِي: أَتَفُوتُنَا غَزْوَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ؟ وَاللَّهِ مَا لَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرْكَبُهَا، وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ، فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَكُنْتُ أَيْسَرَ جُرْحاً، فَكَانَ إِذَا غُلِبَ حَمَلْتُهُ عُقْبَةً، وَمَشَى عُقْبَةً، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ[1].

وَعِنْدَ الْعَوْدَةِ مِنْ أُحُدٍ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا، وَأَخُوهَا، وَأَبُوهَا، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِأُحُدٍ، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ؟ قَالُوا: خَيْراً يَا أُمَّ فُلَانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ، قَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ! تُرِيدُ صَغِيرَةً[2]. لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ زَوْجٍ، وَلَا أَبٍ، وَلَا أَخٍ بَلْ وَلَا النَّفْسُ تُعَادِلُ شَيْئاً أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، هَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ، وَهَذَا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ بِيئَةٍ.

مَرَّ مَعْبَدُ بنُ أَبِي مَعْبَدِ الْخُزَاعِيُّ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ، مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةَ نُصْحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِتِهَامَةَ، صَفْقَتُهُمْ مَعَهُ، لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئاً كَانَ بِهَا، وَمَعْبَدُ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، فَقَالَ:

---

(١) سيرة ابن هشام.
(٢) المصدر نفسه.

يَا مُحَمَّدُ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللَّهَ عَافَاكَ فِيهِمْ، ثُمَّ خَرَجَ، وَرَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ، وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَأَصْحَابِهِ، وَقَالُوا: أَصَبْنَا حَدَّ أَصْحَابِهِ وَأَشْرَافِهِمْ وَقَادَتِهِمْ، ثُمَّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ! لَنُكِرَّنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَلَنَفْرَغَنَّ مِنْهُمْ. فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَداً قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقاً، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا، فِيْهِمْ مِنَ الحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ؛ قَالَ: وَيْحَكَ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى أَرَى نَوَاصِيَ الخَيْلِ؛ قَالَ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ، لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَنْهَاكَ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلَنِي مَا رَأَيْتَ عَلَى أَنْ قُلْتُ فِيهِمْ أَبْيَاتاً مِنْ شِعْرٍ؛ قَالَ: وَمَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ:

كَادَتْ تُهَدَّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إِذَا سَالَتِ الأَرْضُ بِالجُرْدِ الأَبَابِيلِ
تَرْدِي بِأُسْدٍ كِرَامٍ لاَ تَنَابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيْلٍ مَعَازِيلِ
فَظَلَّتْ عَدْوَاً أَظُنُّ الأَرْضَ مَائِلَةً ... لِمَا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْزُولِ
فَقُلْتُ وَيْلَ ابنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ ... إِذَا تَغَطْمَطَتِ البَطْحَاءُ بِالجِيلِ

إِنِّي نَذِيرٌ لأَهْلِ البَسْلِ ضَاحِيَةً لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لاَ وَخْشٍ تَنَابِلُهُ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالقِيلِ

وَمَرَّ رَكْبٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ القَيْسِ بِأَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ المَدِينَةَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ المِيرَةَ؛ قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُبْلِغُونَ عَنِّي مُحَمَّداً رِسَالَةً أُرْسِلُكُمْ بِهَا إِلَيْهِ، وَأُحَمِّلُ لَكُمْ هَذِهِ غَداً زَبِيباً بِعُكَاظٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ؛ قَالَ: فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ، فَمَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ؛ فَقَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ لَمَّا انْصَرَفَ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى المَدِينَةِ. لِيَسْتَأْصِلَ بَقِيَّةَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ: لاَ تَفْعَلُوا فَإِنَّ القَوْمَ قَدْ سَرِبُوا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قِتَالٌ غَيْرَ الَّذِي كَانَ، فَارْجِعُوا، فَرَجَعُوا. فَقَالَ النَّبِيُّ، ﷺ، وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، حِيْنَ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِالرَّجْعَةِ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ حِجَارَةٌ، لَو صَبَّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ.

وَبَعْدَ حَمْرَاءِ الأَسَدِ شَهِدَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، غَزَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، كَمَا انْطَلَقَ مَعَ السَّرَايَا جَمِيعِهَا، وَيُحَدِّثُنَا،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ بَعْضِ أَخْبَارِ هَذِهِ الغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا. كَمَا أَنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ جُيُوشِ الفَتْحِ الَّتِي انْطَلَقَتْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَنَشْرِ الدَّعْوَةِ، وَكَانَتْ بِلَادُ الشَّامِ مَجَالَ جِهَادِهِ.

زَوَاجُ جَابِرٍ:

تَزَوَّجَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، امْرَأَةً ثَيِّباً رَغْبَةً مِنْهُ فِي أَنْ تَرْعَى شُؤُونَ أَخَوَاتِهِ البَنَاتِ، وَقَدْ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، قَالَ لَهُ: (يَا جَابِرُ هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ؟) قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: (بِكْراً أَمْ ثَيِّباً؟)، قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّباً، قَالَ: (أَفَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ لِي بَنَاتٍ سَبْعاً، فَنَكَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً تَجْمَعُ رُؤُوسَهُنَّ، فَتَقُوم عَلَيْهِنّ. قَالَ: (أَصَبْتَ إِن شَاءَ اللَّهُ).

كَرَمُ جَابِرٍ:

قَالَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي الخَنْدَقِ، فَكَانَتْ عِنْدِي شُوَيْهَةٌ، غَيْرَ جِدُّ سِمِينَةٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ؛ قَالَ: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي، فَطَحَنَتْ لَنَا شَيْئاً مِنْ شَعِيرٍ، فَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خُبْزاً، وَذَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ، فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. قَالَ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا، وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، الانْصِرَافَ عَنِ الخَنْدَقِ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ

نَهَارَنَا، فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهَالِينَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئاً مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ، فَأُحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ وَحْدَهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ؛ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ أَمَرَ صَارِخاً فَصَرَخَ: أَنِ انْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ؛ قال: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَبَرَّكَ وَسَمَّى اللَّهَ، ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَا فَرَغَ قَوْمٌ قَامُوا، وَجَاءَ نَاسٌ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الخَنْدَقِ عَنْهَا.

وَفَاةُ جَابِرٍ:

عَاشَ جَابِرٌ طَوِيلاً، حَتَّى زَادَ عَلَى التِّسْعِينَ، فَقَدْ تُوُفِّيَ عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَسَبْعِينَ فِي خِلاَفَةِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ، وَبِذَا يَكُونُ قَدْ عَاشَ أَرْبَعاً وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ. وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبَانُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَهُوَ وَالِي المَدِينَةِ يَوْمَذَاكَ. وَهُوع آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنْ رِجَالِ العَقَبَةِ.

عِلْمُ جَابِرٍ:

رَوَى عِلْماً كَثِيراً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ،

وَعُمَرَ، وَعَليٍّ، وَالزُّبَيْرِ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ: سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَعَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَالحَسَنُ بنُ مُحَمّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ، وَمُحَمَّدُ البَاقِرُ، وَمُجَاهِدُ، وَالشَّعْبِيُّ، وَرَجَاءُ بنُ حَيَوَةَ.

وَكَانَ يَرْحَلُ فِي طَلَبِ الحَدِيثِ.

رَوَى أَلْفَاً وَخَمْسَمَائَةٍ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثَاً، اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَى ثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِينَ مِنْهَا، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِستَّةٍ وَعِشْرِينَ حَدِيثَاً، وَمُسْلِمُ بِمَائَةٍ وَسِتَّةٍ وَعِشْرِينَ حَدِيثَاً.